تناقضـــات (٢)

٨/ ٥/ ١٤١٧هـ

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحمَدُهُ ونَسْتعينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعوذُ بِاللهِ مِن شُرورِ أَنفُسِنا ومِن سَيئاتِ أَعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَن يُضلِل فَلا هادِيَ لَهُ، وأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ وأَشهَدُ أَنَّ مُحمداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ... أمَّا بَعدُ:

فَمَعاشِرَ المُسلِمينَ:

تَقَدَّمَ فِي الجُمُعَةِ الماضِيَةِ ذِكرُ بعضِ التَّناقُضاتِ التِي يَقَعُ فيها كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَعمالِهِم وَأَقوالِهِم حَتَّى أَصبَحَت أَمراً مَألوفاً بَينَهُم؛ لِكَثرَةِ تَواطُئِهِم عَلَيها، وَلَمَّا كانَتِ الغَفلَةُ عَن هَذا الأَمرِ مِنَ الخُطورَةِ بِمَكانٍ، كانَ لِزاماً عَلَى كُلِّ واحِدٍ مِنَّا أَن يَتَفَقَّدَ نَفسَهُ وَمَن حَولَهُ لِسَدِّ ذَلِكَ الخَلَلِ الذِي يَجُرُّ مِنَ الفَسادِ وَالإِفسادِ عَلَى النَّفسِ وَالمُجتَمَعِ بِحَسبِ الغَفلَةِ عَنهُ.

وَاستِكمالاً لِما سَبَقَ طَرحُهُ فِي الجُمُعَةِ الماضِيَةِ يُقَالُ:

إنَّ مِنَ التَّناقُضاتِ:

مَا يَقَعُ فيهِ بَعضُ الآباءِ مِنَ التَّساهُلِ فِي تَزويجِ بَناتِهِم مِن أُناسٍ مَعروفينَ بِتَركِ الصَّلاةِ أَوِ التَّهاوُنِ بِها، فَتَرى ذَلِكَ الوَلِيَّ إِذا تَقَدَّمَ إِلَيهِ الخاطِبُ وَرَضِيَ حَسَبَهُ ونَسَبَهُ، أَعطاهُ مَبدَأَ المُوافَقَةِ قَبلَ البَحثِ عَن أَمرِ سُلوكِهِ وَاستِقامَتِهِ.

وَوَجهُ التَّناقُضِ هُنا أَنَّ ذَلِكَ الخاطِبَ قَد يَكونُ تارِكاً لِلصَّلاةِ أَو مُتَهاوِناً بِها، ومَعَ هَذا تَرَى ذَلِكَ الوَلِيَّ لاَ يُلقِي لِذَلِكَ الجانِبِ اهتِماماً كَمَسأَلَةِ الحَسَبِ وَالنَّسَبِ أَو سَلامَةِ الخاطِبِ مِنَ المُسكِراتِ وَالمُخَدِّراتِ، وَما عَلِمَ ذَلِكَ الوَلِيُّ المُفَرِّطُ أَنَّ تَركَ الصَّلاةِ أَعظَمُ جُرماً وَأَشدُّ إِثماً مِنَ المُخَدِّرِ وَالمُسكِرِ.. قَالَ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بعدَ كَلامٍ لَهُ، «... بَل تارِكُ الصَّلاةِ شَرٌّ مِنَ السَّارِقِ وَالزَّانِي وَشارِبِ الخَمرِ وَآكِلِ الحَشيشَةِ» انتَهى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

ومَعَ عَظيمِ جُرمِ تارِكِ الصَّلاةِ إِلاَّ أَنَّ بَعضَ الأَولِياءِ لا يُلقونَ اهتِماماً يَستَحِقُّهُ هَذا الأَمرُ، بَل يَجعَلونَهُ فِي آخِرِ المَطافِ، وَهَذا مِنَ التَّفريطِ فِي جانِبٍ كَبيرٍ مِنْ أَمرِ المَسؤولِيَّةِ.

وَمِنَ التَّناقُضاتِ أَيضاً:

وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَمرِ الصَّلاةِ أَيضاً، أَنَّكَ تَرَى بَعضَ النَّاسِ إِذا كَانَ فِي المَسجِدِ وَتَأَخَّرَ الإِمامُ دَقائِقَ مَعدودَةً بَلَغَ مِنهُ الضَّجَرُ مَبلَغاً واستَرجَعَ وحَوقَلَ، وأَشغَلَ مَن بِجانِبِهِ بِالقيلِ وَالقالِ وَكَثرَةِ السُّؤالِ: أَينَ

فُلانٌ؟ لِمَ حَبَسَنا؟ لِمَ أَخَّرَنا؟ وَهَكَذا يُشغِلُ نَفسَهُ وَمَن بِجانِبِهِ فِي قِيلٍ وَقالٍ.

وَوَجهُ التَّناقُضِ هُنا: أَنَّ ذَلِكَ المُتَضَجِّرَ لَو كَانَ فِي مَجلِسِ وَليمَةٍ وَطابَ لَهُ الكَلامُ لَتَمَنَّى أَن يَتَأَخَّرَ الغَداءُ أَو العَشاءُ لِما يَشعُرُ بِهِ مِنَ الرَّاحَةِ فِي مَجلِسِهِ ذَاكَ. وَهَذا نَوعٌ مِنَ الخُذلانِ [عافانا اللهُ وَإِيَّاكُم]، إِذ كَيفَ يَضيقُ الإِنسانُ ذَرعاً إِذا مَكَثَ فِي المَسجِدِ قَليلاً، وَيَنشَرِحُ صَدرُهُ إِذا مَكَثَ فِي المَجلِسِ طَويلاً، مَعَ أَنَّ بَينَ المَجلِسَينِ فَرقاً عَظيماً وَبَوناً شاسِعاً؟

فَفِي المَجلِسِ الأَوَّلِ: تُصَلِّي عَلَيهِ المَلائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغفِر لَهُ، اللَّهُمَّ ارحَمهُ، مَا لَم يَقُم أَو يُحدِث، وَهُوَ فِي صَلاةٍ مَا انتَظَرَ الصَّلاةَ.

وَأَمَّا المَجلِسُ الثَّانِي: فَغالِبُ أَمرِهِ أَن يَكونَ مُباحاً، هَذا إِذا سَلِمَ مِنَ الغِيبَةِ وَالنَّميمَةِ، وَلاَ يَكادُ يَسلَمُ إِلاَّ مَن رَحِمَ اللهُ.

وَبِكُلِّ حالٍ فَالأَولَى بِالمُسلِمِ أَن يُوَطِّنَ نَفسَهُ عَلَى المُصابَرَةِ عَلَى فِعلِ الخَيراتِ وَتَركِ المُنكَراتِ.

وَمِن تِلكَ التَّناقُضاتِ أَيضاً:

أَن نَرى بَعضَ النَّاسِ مِن أَسبَقِ المُصَلِّينَ إِلى الجُمُعَةِ وَالجَماعَةِ، بَل قَد يَمُرُّ العامُ وَالأَعوامُ وَلاَ تَفُوتُهُم صَلاةُ جُمُعَةٍ أَو جَماعَةٍ، وَأَنعِم بِهِم وَأَكرِم فِي اتِّصافِهِم بِهَذِهِ الخَصلَةِ الحَميدَةِ وَالمَنقَبَةِ الرَّفيعَةِ.

إِلاَّ أَنَّ المُصيبَةَ تَكمُنُ فِي أَنَّكَ تَرَى بَعضَ أُولَئِكَ لاَ يَتَوَرَّعُ عَنِ التَّعامُلِ بِالرِّبا أَو تَأجيرِ مُمتَلَكاتِهِ لِمَن يُتاجِرُ فِي مُحَرَّماتٍ أَو يُعينُ عَلَيها، بَل قَد تَكونُ بُيوتُهُم تَعُجُّ بِالمُنكَراتِ، فَيَا سُبحانَ اللهِ! أَينَ أَثَرُ الصَّلاةِ عَلَيهِم؟ أَلَيسَ اللهُ يَقولُ: {**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**} [العنكبوت: ٤٥]؟ وَاللهِ إِنَّ المَرءَ لَيَعجَبُ أَن يَرَى رِجالاً مِنَ المُسارِعِينَ إِلى الخَيراتِ بَل وَالباذِلِينَ أَموالَهُم فِي طُرُقِ الخَيرِ عَلَى اختِلافِ أَنواعِها، لَكِن لَبَّسَ الشَّيطانُ عَلَيهِم فِي أَبوابٍ كَثيرَةٍ.

قَالَ الإِمامُ ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وَقَد لَبَّسَ إِبليسُ عَلَى خَلقٍ كَثيرٍ مِنَ العَوامِّ يَحضُرونَ مَجالِسَ الذِّكرِ وَيَبكونَ، وَيَكتَفونَ بِذَلِكَ، ظَنّاً مِنهُم أَنَّ المَقصودَ: الحُضورُ وَالبُكاءُ؛ لأَنَّهُم يَسمَعونَ فَضلَ الحُضورِ فِي مَجالِسِ الذِّكرِ، وَلَو عَلِمُوا أَنَّ المَقصودَ إِنَّما هُوَ العَمَلُ وَإِذا لَم يَعمَل بِما يَسمَعُ كانَ زِيادَةً فِي الحُجَّةِ عَلَيهِ... -ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ أَيضاً: وَإِنِّي لأَعرِفُ خَلقاً يَحضُرونَ المَجلِسَ مُنذُ سِنينَ وَيَبكونَ وَيَخشَعونَ، وَلاَ يَتَغَيَّرُ أَحَدُهُم عَمَّا قَد اعتادَهُ مِنَ المُعامَلَةِ فِي الرِّبا، وَالغِشِّ فِي البَيعِ، وَالجَهلِ بِأَركانِ الصَّلاةِ، وَالغِيبَةِ لِلمُسلِمينَ، وَالعُقوقِ لِلوالِدَينِ، وَهَؤلاءِ قَد لَبَّسَ عَلَيهِم إِبليسُ، فَأَراهُم أَنَّ حُضورَ المَجلِسِ وَالبُكاءَ يَدفَعُ عَنهُ مَا يُلابِسُ مِنَ الذُّنوبِ، وَأَرَى بَعضَهُم أَنَّ مُجالَسَةَ العُلَماءِ وَالصَّالِحينَ يَدفَعُ عَنكُم، وَشَغَلَ آخَرينَ بِالتَّسويفِ بِالتَّوبَةِ، فَطالَ عَلَيهِم مَطالُهُم، وَأَقامَ قَوماً مِنهُم

لِلتَّفَرُّجِ فِيما يَسمَعونَهُ وَأَهمَلُوا العِلمِ بِهِ» انتَهى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ.

وَهُو كَلامٌ نَفيسٌ فِي بابِهِ يَحكِي واقِعَ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعوذُ بِكَ مِن هَمزِ الشَّيطانِ وَنَفخِهِ ونَفثِهِ، اللَّهُمَّ وَفِّقنا لِصالِحِ الأَعمالِ وَالأَقوالِ.

* * *

الخطبة الثانية

الحَمدُ للهِ حَمداً كَثيراً طَيِّباً مُبارَكاً فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنا وَيَرضَى.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إِنَّ مِنَ التَّناقُضاتِ أَيضاً أَن تَرَى بَعضَ المُسلِمينَ يُخطِئُ عَشَراتِ الأَخطاءِ فِي قِراءَتِهِ لِلقُرآنِ الكَريمِ، حَتَّى فِي أَقصَرِ السُّوَرِ التِي يَحفَظُها صِبيانُ الكَتاتِيبِ.

بَينَما تَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ يَحفَظُ مِئاتِ الأَشعارِ وَعَشراتِ القَصائِدِ، بَل إِذا تَصَدَّرَ المَجلِسَ حَسِبتَ أَنَّهُ جَريرُ زَمانِهِ فِي هَذِّ الشِّعرِ وَسَردِهِ، دُونَ تَلَعثُمٍ أَو تَرَدُّدٍ، بَل وَيَزيدُ عَلَى ذَلِكَ بِمَعرِفَةِ أَسماءِ الشُّعَراءِ وَسِيَرِهِم، وَمُناسَبَةِ قَصائِدِهِم وَأَمكِنَتِها وَأَزمِنَتِها، بَل وَعِندَهُ نَفَسٌ طَويلٌ فِي سَردِ الشِّعرِ أَوِ الدُّخولِ فِي المُساجَلاتِ الشِّعرِيَّةِ، وقَد يَكونُ ذَلِكَ المِسكينُ قَدِ اشتَعَلَ رأسُهُ شَيباً وَهُوَ لاَ يُحسِنُ قِراءَةً وَلاَ صَلاةً، بَل قَصُرَ مُرادُهُ وَهِمَّتُهُ عَلَى أُمورٍ إِن لَم تَضُرَّهُ فَلَن تَنفَعَهُ، بَل قَد يَكونُ إِثمُها أَكبَرَ مِن نَفعِها إِن كانَ فِيها نَفعٌ.

أَخرَجَ الخَطيبُ البَغدادِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى بِإِسنادِهِ إِلى الأَعمَشِ أَنَّهُ قَالَ: «إِذا رَأَيتَ الشَّيخَ لَم يَقرَأ القُرآنَ وَلَم يَكتُبِ الحَديثَ فَاصفَع لَهُ فَإِنَّهُ مِن شُيوخِ القَمَرِ». قَالَ أَبو صالِحٍ: قُلتُ لأَبِي جَعفَرَ: مَا شُيوخُ القَمَرِ؟ قَالَ: شُيوخٌ دَهرِيُّونَ يَجتَمِعونَ فِي لَيالِي القَمَرِ، يَتَذاكَرونَ أَيامَ النَّاسِ، وَلاَ يُحسِنُ أَحَدُهُم أَن يَتَوَضَّأَ لِلصَّلاةِ.

وَبِكُلِّ حالٍ فَعَلى مَن رَزَقَهُ اللهُ حافِظَةً قَوِيَّةً أَن يُسَخِّرَها فِي حِفظِ مَا يَنفَعُهُ مِنَ القُرآنِ وَالذِّكرِ، وإِن كَانَ مَيّالاً إِلى الشِّعرِ وَالحِكَمِ فَليَحرِص عَلَى حِفظِ مَا يَنفَعُ مِنَ الأَشعارِ، كُلُّ ذَلِكَ بعدَ مَرتَبَةِ القُرآنِ وَالأَذكارِ.

اللَّهُمَّ اهدِنا لأَحسَنِ الأَخلاقِ لاَ يَهدِي لأَحسَنِها إِلاَّ أَنتَ، واصرِف عَنَّا سَيِّئَها لاَ يَصرِفُ عَنَّا سَيِّئَها

إِلاَّ أنتَ.

اللَّهُمَّ اجعَلنا مِمَّن يَستَمِعونَ القَولَ فَيَتَّبِعونَ أَحسَنَهُ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ وَسَلامٌ عَلى المُرْسلينَ وَالحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ.

* * *